

التَّحْوُ الوظيفي. تطبيق،

السنة. الثالثة، الفوج العشر. (الأستاذ بوكعباش)

الحمولة الإنجازية (المضمون الدلالي) في نظرية النحو الوظيفي

مفهوم الحمولة الإنجازية:

هي ما يواكب عبارة لغوية ما، من قوى إنجازية (دلالات) باعتبار الطبقات المقامية، التي يمكن أن تنجز فيها تلك العبارة، وهي قوتان؛ قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة.

القوة الإنجازية الحرفية:

هي التي تلازم العبارة اللغوية في مختلف المقامات التي ترد فيها، ، وبمعنى آخر هي السمات الصورية (صرفية، وتركيبية، وتنغيمية) التي تأتي عليها العبارة اللغوية؛ فهي تؤخذ من صيغة العبارة مباشرة، والتي تسهم في الإخبار عنها مكوناتها متضامة، أو هي الأفعال الكلامية الصريحة المباشرة الدالة على الغرض من كلام المتكلم إخباراً أو طلباً.

القوة الإنجازية المستلزمة: (معنى يزيد على المعنى الحرفي، يوحي به المقام)

هي التي تدخل على العبارة اللغوية في مقام معيّن؛ حيث لا يتم تولّدُها إلا في طبقات مقامية معيّنة، فهي تزيد على الخاصية الحرفية وضعاً مقامياً، أو هي الأفعال الكلامية غير المباشرة التي تتولد عن استعمال أساليب وعبارات للدلالة على غيرها.

فالفرق بين القوتين يكمن في أن القوة الإنجازية الحرفية، تدل عليها صورة العبارة، سواء كانت منطوقة أم مكتوبة، أما القوة الإنجازية المستلزمة، فتحتاج إلى سلسلة من الاستدلالات التي يقوم بها المخاطب كي يستنتج مقصود المتكلم. ونورد في هذا المقام المثالين الآتيين للتوضيح:

مَنْ في البيت ؟

هل تصاحبني إلى الحديقة ؟

فالمثال الأول مجرد سؤال عَمَّن في البيت، فحولتها الإنجازية هنا هي مجرد السؤال، أما في المثال الثاني فيفهم منه أن هناك التماسا يطلبه المتكلم من المخاطب.

كما في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ [آل عمران 8]، في الآية الكريمة نجد فعلين كلاميين الأول يفيد النهي (لا تزغ)، والثاني يفيد الأمر (هب)، وهذا الكلام المباشر ليس هو المقصود من المؤمنين، وهو ما جعل القوة الإنجازية الحرفية للنهي والأمر مستبعدة لغياب شرط الاستعلاء، وحلت محلها قوة إنجازية مستلزمة (فعل كلامي غير مباشر)، تفهم من سياق الكلام وهي: الطلب والدعاء؛ فأصبح للفعل الكلامي (ربنا لا تزغ قلوبنا) فعلاّن كلاميان؛ الأول مباشر وهو القوة الإنجازية الحرفية للنهي، والثاني غير مباشر وهو القوة الإنجازية المستلزمة، ونفس الشيء مع الفعل الكلامي (هب لنا من لدنك رحمة) حيث نجد فعلين كلاميين: الأول مباشر، وهو القوة الإنجازية الحرفية للأمر، والثاني غير مباشر وهو القوة الإنجازية المستلزمة، التي تفهم من سياق الكلام، وهي الطلب والدعاء، وكل فعل كلامي يُنجز عبر ثلاثة أفعال مترابطة هي:

الفعل الكلامي: وهو فعل القول المتلفظ به في سياق لغوي تواصلّي متعارف عليه.

الفعل التكلمي: وهو الفعل الإنجازي الذي يقوم به المتكلم أثناء تلفظه، ويمثل الغرض من التلفظ (إخباراً، أو أمراً، أو استفهاماً، أو تعجباً)

الفعل التكملي: وهو الأثر الذي يُحدثه التكلم أو التلفظ لدى المخاطب كأن يُصدّق الخبر أو يُكذّبه، ويستجيب أو يرفض.

وتظل القوة الإنجازية المستلزمة، مختلفة عن القوة الإنجازية الحرفية، في ثانويتها، وفي كونها مرتبطة مقامياً، كما أنها تظل متحفظة ما لم تتعرض لظاهرة التحجر.

ظاهرة التحجر والقوة الإنجازية المستلزمة:

قد يحصل عبر التطور اللغوي، أن يتغير وضع القوتين الحرفية والمستلزمة؛ بحيث تصبح القوة الثانية تعديل أو تفوق أهمية القوة الأولى، مثلاً:

هل تستطيع أن تناولني الملح؟

ألم أندرك؟

إن الجملة الأولى تواكبها قوتان إنجazitان: قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة، وهما على التوالي "السؤال"، و"الالتماس".

وهي بهذه السمة، تسير الجملة الثانية في الأمثلة السابقة في الحديث عن حملتها الإنجازية، إلا أن ثمة فرقاً واضحاً بين الجملتين يكمن في أن العلاقة بين قوتي جملة (هل تستطيع أن تناولني الملح؟) ليست العلاقة بين القوتين اللتين تواكبان جملة (هل تصاحبني إلى الحديقة؟). فالقوة المستلزمة "الالتماس" في جملة (هل تستطيع أن تناولني الملح؟) ليست ثانوية بالنسبة للقوة الحرفية "السؤال"، بل إنها تضارعها، على الأقل، من حيث الأهمية بالنظر إلى التأويل العام للجملة. لذلك يمكن أن نقول إنَّ للجملة (هل تستطيع أن تناولني الملح؟)، بخلاف الجملة (هل تصاحبني إلى الحديقة؟)، قوة إنجازية حرفية، وقوة إنجازية مستلزمة أصبحت بالتداول من الأهمية بحيث يمكن عدُّها قوة حرفية ثانية. ومن الملحوظ أنَّ ظاهرة انتقال القوة المستلزمة من وضع قوة ثانوية إلى وضع قوة أساسية، تُشكّل نزوعاً عاماً، بالنسبة للتركيب المتضمنة للمحمولات، التي من قبيل "استطاع"، ولئن كانت القوة الإنجازية المستلزمة، تعدل أهمية القوة الإنجازية الحرفية في الجملة: (هل تستطيع أن تناولني الملح؟)، فإنها في الجملة (ألم أندرك؟) تكاد تكون القوة الحرفية الوحيدة؛ فالذي يتبادر إلى الفهم من الجملة هو الإخبار المثبت، على أساس أنها ترادف (لقد أندرتك)، لا السؤال.

وعليه فإنَّ القوة الإنجازية المستلزمة، تفقد سمّتها بالتدرّج عبر التطوُّر اللغوي؛ حيث تصبح معنى معمّماً يواكب ذلك التركيب في جميع مقامات إنجازه، وتصبح بذلك قوة "إنجازية حرفية"، لا تقلُّ أهمية عن القوة الإنجازية الحرفية الأصل.

ومنه فإنَّ القوة الإنجازية، الناتجة عن استلزام مقامي معين، قد تتعرض، كباقي جوانب العبارات اللغوية لظاهرة ما يمكن تسميته "التجُّر"، الذي قد يقف عند هذه المرحلة؛ مرحلة توارد قوتين إنجazitين على التركيب الواحد، إحداها قوة حرفية أصلية، والثانية قوة مستلزمة، اكتسبت عبر الاستعمال وضع القوة الحرفية، وقد يستمر حتى يبلغ متناه في هذه الحالة، تصبح القوة الحرفية الأصلية شبه منعدمة، وتنفرد بذلك القوة المستلزمة، بتشكيل المحولة الإنجازية للعبارة.

إن ظاهرة التحجر تشكّل، حين يتعلق الأمر بالقوة الإنجازية المستلزمة، سلسلة مدرّج التحقّق، وأهم
مراحله مرحلتان:

1. مرحلة تنتقل فيها هذه القوة من وضع قوة مستلزمة، رهينة بمقتضيات المقام، إلى قوة حرفية تلازم
القوة الحرفية الأصل، انسحاباً يكاد يكون كلياً تاركة للقوة المستلزمة، فرصة التفرد بتشكيل مجال العبارة
الإنجازي.